تكوين الجنـــين فى الرحم

من الابحاث العلمية ... دراسة مقتبسة من كتاب (سبك الذهب واللجـين) فى سر افتقار التناسـل الى الزوجيـن .

تأليف العلامـة المرحوم محمد السايـح
تلخيص العلامة الاستاذ الحسن السايـح

لعل مذهب تكوين الجنين او الانقلاب الجنينى هو المذهب الاسلامى الدينى فى تكوين الجنين . وهذا المذهب يرى ان الجرثومة الاولى حائزة لكل الاعضاء والصفات التى تمتاز بها الصورة حالة بلوغها سواء فى ذلك الحيوان او النبات وان الانقلابات الجنينية انما هى عبارة عن نماء الاعضاء التى كانت حين وجود الجـرثومـة الاولـى فى غايـة الضمـور ... وجاء فى ملتقى السبيل بانه بدأ القول فى هذه النظرية بان الانثى قبل الذكر هى التى تتضمن كل جراثيـم الافراد التى قدر للنوع ان يخرجها الى عالم الوجود ، ولم يتغيـر هذا الاعتقاد حتـى كشف العلامـة (اليونيهويك) الهولاندى عن جراثيم التذكير عـام 1690 ووجد فى عناصر التذكير جراثيم خيطية الشكل شرطها فى اتمام اللقاح كشرط بويضات الانثـى تماما .... وكم كانت دهشة العلماء اذ تحققوا ان هذه الجراثيم الخيطية حيوانات صحيحة سابحة فى المائع المنوى وانها السبب الموجد للتناسل فى ارقى ذوات الفقار واثبتوا بالتجارب العديدة ان هـذه الحيوانات لا تبدأ فى النماء الا بعد أن تمتزج ببويضات التأنيث الناضجةكما تنتج بذور النبات فىالارض الخصبة وساد الاعتقاد اذ ذاك بان كل حيوانين من تلـك الحيوانات يتضمن اعضاء الجسم البشرى برمته ، ولا ينحصر البحث الجنينى الا فى معرفة كيفية نماء تلـك الاعضاء وتمايزها منـذ اول عهدها باللقاح حتى النضج التام . وان اعضاء التذكير فى آدم كانت تحتوى حيوانات تساوى عدد أفراد السلالات البشرية التى عمرت الارض منذ اقدم ازمانها وما هو مقدور له ان يعمرها فى مستقبل ايامها ويوضح مؤلف ملتقى السبيل ان الخلية الحية التى تكون ايضا فى بيـض الدجاجة وغيرها من الحيوانات البيوضة وهى مركز الحياة فيها ليست الا تركيبا كيماويا فى حالة المغارة المبدئية .

ويعلق محمد السائح ان مذهب التكوين يمكن استخراجه من كتاب الله الـذى لا تنقضى عجائبه وذلك من آية (الميثاق) المذكور فى قوله سبحانـه « واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهـم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبـل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون » .

وتزداد عجبا اذا سمعت تفسير ابن عباس لهذه الآية قال ابن جرير حدثنا : ابن وكيع حدثنا ابى عن ابى هلال عن ابى جمرة الضبعى عن ابى عباس قال اخرج الله ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر « وهو فى آذى من الماء (والآذى الموج الشديـد كما فى اللسان) . . ومذهب التكوين مذهب لا يقر المادية . وهو يزاوج بين المادة والروح ويعرف بمذهـب

(الاثنينية) ولهذا المذهب براهين وحجج منها .

1) ما تجده فى نفوسنا من الشعور بشخصيتنا واستقلالنا ، الامر الذى لا يمكن ان يكون نتيجة للمخ الذى هو مادة صامدة مهما كانت حالته من رقى التركيب ودقته واتقانه .

2) وتنوع الادراك عندما تؤدى كل حاسة وظيفتها الذى تقوم به من الخارج الى المخ وقد اثبت العلماء ان الاحساسات السمعية والبصرية ليست الا حركات اهتزازية تصب فى الدماغ ثم تنقلب الى افكار فهمية ، وهو ما يثبت بلا شبهة ان ثم شخصية عاقلة وبمجرد الارتسام فى مادة جامدة لا يمكن ان يكون فهما وادراكا ومن زعم ان الدماغ يدرك فهو كمن يزعم ان القرطاس يدرك معانى الكتابة او ان الساعة تدرك اجزاء الوقت المعلم عليها بانتقالات عقاربها .

3) مخاطبة الارواح الامر الذى يثبت يقينا ان ثم عالما آخر غير المادة ، ثم هل هى ارواح الموتى او هى الجن . ذاك بحث آخر نحن الآن فى موقف الحياد عن تعيين احد الطرفين حتى يقوم البرهان عليه ، انما الامر الذى لا ريب فيه ان ثم ارواحا عاقلة تمكن مخاطبتها بوسائل معلومة وهو مما يبرهن على ان ثم غير المادة ...

الروح اصل للمادة :

يرى (جون هنتز) ان الحياة هى علة الاجسام لا ان الحياة نتجية لها . وايده توماس هكسلى عضو المجمع العلمى البريطانى مؤلف كتاب المدخل على ترتيب الحيوانات بان ثم فى الوجود حيوانات ساذجة لا يرى الباحث فيها مهما توسل بالآلات الدقيقة اى اثر للتركيب الجثمانى ، وليست لها اعضاء ولا اجزاء محدودة ، ومع ذلك فهى ممتعة بالخصائص والميزات الاصلية للحياة حتى انها لتستطيع ان تبتنى لنفسها تواقع ذات تراكيب معقدة احيانا وعلى غاية ما يمكن من الجمال وحياة المادة من حياة الروح المفاضة عليها والسارية فيها فاذا فارقتها اسرع اليها الانحلال والضياء ورجعت الى اصلها لان المادة مظلمة ولا حياة لها فى نفسها .

وللروح قوة التشكل ، وذلك لانفعال المادة لها .... وهو ما يدل على ان الروح اصل للمادة وجاء فى القرآن الكريم فى حكاية السامرى (قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها) وجاء فى (فصوص) الحاشى ، ان من خصائص الروح انها لا تطأ شيئا الا حيى ذلك الشىء وسرت الحياة فيه ، ولهذا قبض السامرى قبضة من اثر الرسول الذى هو جبريل وهو الروح (كما فى القرآن ، نزل به الروح الامين) وكان السامرى عالما بهذا الامر ، فلما عرف انه جبريل عرف أن الحياة قد سرت فيما وطىء عليه ، فالحياة من خواص الحضرة الالاهية . ويدل على ذلك : ونفخت فيه من روحى .

....واذا فالذكر حامل لسر الحياة ، والانثى للمادة المستواه والبرهان على ذلك ما يشاهد فى النبات والحيوان فان الانثى من النبات كالنخلة تهىء وتسوى طلعها ليكون ثمرا وبعبارة نسلا ، فاذا لقح بطلع الذكر بوضعه فيه صلحت ، والا نفضت .. وكذلك الحيوان فانا نشاهد ان انثى الدجاج اذا كانت خلوا من الذكر قد تبيض ولكن بيضها لا يفقص اذا حضن ، وما ذاك الا لانه مادة خالية من الحياة ، واذا كان البيض من تلقيح الديك فانه يصلح وكذلك فى الاسماك لا يتم التلقيح الا اذا رشت الذكور منها ماءها على بيوض الانثى .. اما الانسان فان الذكر يصب الماء فى الرحم وهو حامل للحيوان المنوى ذى الحياة فيدخل بويضة فى البويضات التى تحملها ماء المراة ، والتلقيح يتم عادة باختراق خلية الذكر لخلية الانثى .. ومن ثم تتصل خلية الذكر بنواة خلية الانثى فتتحدان أو تندمجان .. وقد اثبتت التجربة ان خلية الذكر تحمل شعلة الحياة .. ويقرر علماء الفسيولو فى ان ماء الرجل يعطى الصورة واما التكون والتخلق فمن ماء المراة كما تكون تغذية الجنين فى الرحم من دم الطمث بدليل انقطاعه ايام الحمل (ولعل المؤلف لم يكن عصره بلغ الى معرفة حقيقة دم الطمث فبذلك ظن ان انقطاعه وقع بسبب جعله تغذية للجنين) .

ويقول الحاشى فى الفصوص ، ان نفخ الروح

القدس جبريل عليه السلام جعل فى رحم مريم العذراء ما يفعل تلقيح الرجل فى رحم المراة ... جاء فى القرآن الكريم : (ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) فكان عيسى روحا من الله كما قال (وروح منه) ولذلك كانت من معجزاته انه يحيى الموتى ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طائرا باذن الله .... وذلك لغلبة حكم الروح عليه لقلة وسائط التجليات .

وفى آية « الميثاق » ما يفهم ان الحق اخذ ارواحهم المكنوزة فى اصلاب ابائهم ... وجاء فى الذكر الحكيم بين الصلب والترائب . فالاصلاب الرجال . والترائب النساء . فاخذ الذرية من الدهور بشعر ان الرجال مستودع الارواح كما ان (قوله تعالى) نساؤكم حرث لكم يدل على ان الانثى للمادة المسواة كما هو شان المحرثة .

وهذه الحقائق الفسيولوجية تنعكس على الحياة الاجتماعية فى الاسلام لذلك فالاسلام يقرر (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا) وقوله : (وللرجال عليهن درجة) . ولذلك يرى الاسلام ان الرجال مهيؤون لما يقتضيه سر الروح وامر التربية والتهذيب الروحى للذرية ، أما النساء فلما يدعو اليه التناسل وحفظ الاجسام وتعهدها فى اول نشاتها بالغذاء فى الرحم والارضاع بعد الوضع والحضانة والرعاية الى البلوغ . (وربك يخلق ما يشاء ويختار) .

واذا جهل الاصل الذكر او الانثى ... فاذا كانت الروح اصل المادة والذكر حامل لسر الحياة والانثى للمادة المسواة فيكون الذكر هو الاصل . . ويقرر الاسلام : (يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء) (ويقول المؤلف) . . ولكن لا مانع ان يكشف العلم عن احتواء الانثى من هذه الخلقات على قوة الذكر والانثى كما فى الاشجار ، والزهور المشتملة على بذور الزوجين . . وان كان الاغلب فى الحيوان انفراد كل من الذكر والانثى على حدته على خلاف الاغلب فى النبات بدليل ما ذكره ارسطو من ان بعض الاسماك قد تكون خناثى للفرد منها اعضاء التأنيث واعضاء التذكير معا ، وان لها قدرة على تلقيح نفسها بنفسها ووجود الانثى بجانب الذكر فى كل بيئة ووسط دليل على بطلان نظرية التطور التى يراها (دارون) اذ لا يعقل ان تكون الاحوال الوسطية التى اثرت على تطور هذا المخلوق ذكرا . اثرت على تحول الذى بجنبه انثى ، وان كانت من نوعه ، فتكون هذا ذكرا وهذه انثى لكل مميزات تخصه ، ثم اهتديا للتناسل

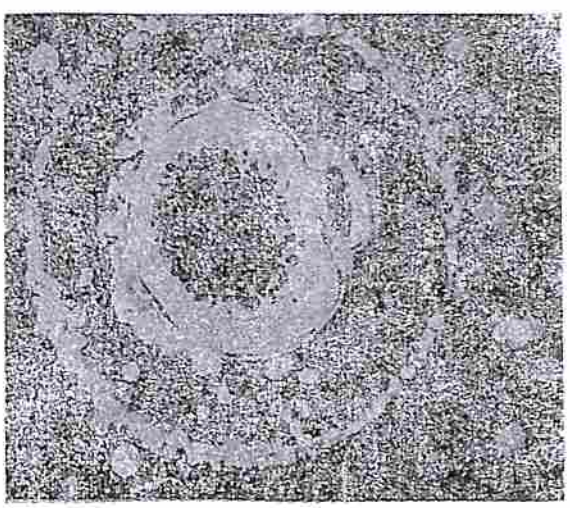

(البويضة)

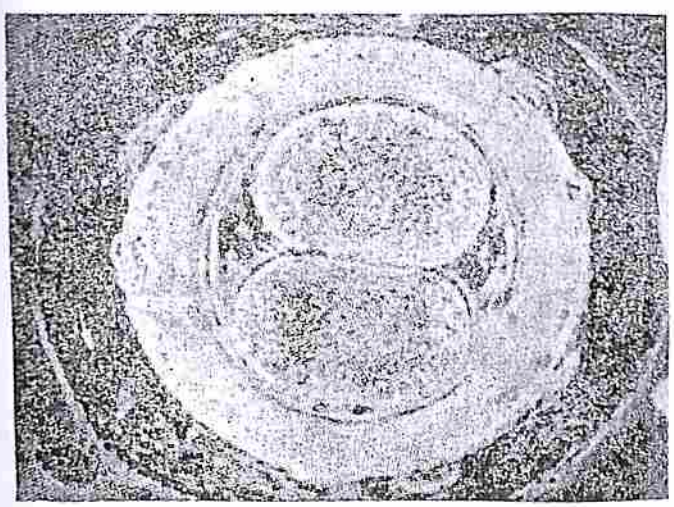

بعد التحام الحيوان المنوى والبويضة مكونين خلية واحدة . . انقسمت هذه الاثنتين

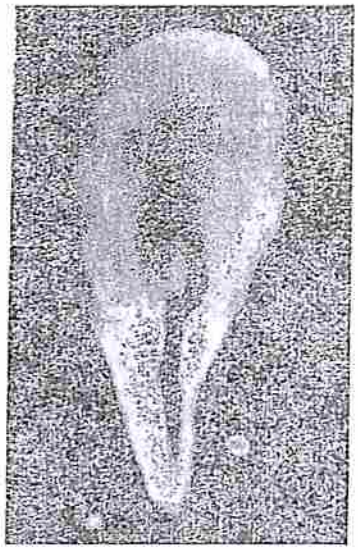

(بعد 16 يوما)

على هذا السبيل كما قال ابن حيون فى كتابه التطور المبدع هادما مبدأ داروين فى الانتخاب الطبيعى .

ويمكن ان يفترض ان الذكر هو الاصل وان الانثى اقتبست جرثومة الحياة منه ولا يبعد ان يكون اتصالهما كان فى الطور النباتى الذى يمر به الانسان ويستروح ذلك من الحديث (وهو نائم) .

المرحلة الاولى ــ النطفة ــ

قال تعالى : « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، انه على رجعه لقادر » (وقال تعالى) « فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين » .

(ثم علقة) .

ان المرحلة الاولى . عندما يكون الدم الدائر فى الاوعية لا يزال ابيض وسر ذلك ان طور النطفة لا زال غالبا عليه . وفى الحديث عن ابن مسعود . ان احدكم يجمع خلقه فى بطن امه اربعين يوما نطفة (الحديث) .

بعد الاربعين (المضغة)

وفى الاربعين ترتسم ملامح التصوير وتستطيل الحلمات لتكون الاعضاء وهو ما جاء فى حديث حذيفة بن اسيد الغفارى فى صحيح مسلم ولفظه : اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها ، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ، ثم قال يارب اذكر ام انثى ، فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملاك (الحديث) ومعنى الحديث :

ان التصوير يبتدىء وترتسم ملامحه فى هذا الوقت (اى فى اليوم 42) ثم يسير على نظام التدريج .. وهذا اولى من تاويل القاضى عياض القائل : بان المراد بالتصوير يكتب ذلك ثم يفعله فى وقت آخر ... مستدلا عليه بان التصوير عقب الاربعين الاولى موجود فى العادة ، وانما يقع فى الاربعين الثالثة وهى مدة المضغة (يقول المؤلف) وانى شاهدت بنفسى جنينا ذكرا اجهض بعد الاربعين تام الصورة جلى الذكورة .. ولهذا قد يشاهد كثير من الاجنة عقب الاربعين فى تمام التصوير ووضوح التمييز بين الزوجين ، ولعل السبب فى ذلك ان التصوير الذى يبتدىء عند الاربعين وياخذ فى التدريج قد يسرع فى بعض الاجنة بسيره فيجمع خلقه فى وقت قريب ، ... هذا والمراد ببعث الملك كما قال القاضى عياض (امره) وتصرفه بتلك الافعال والا فقد صرح الحديث

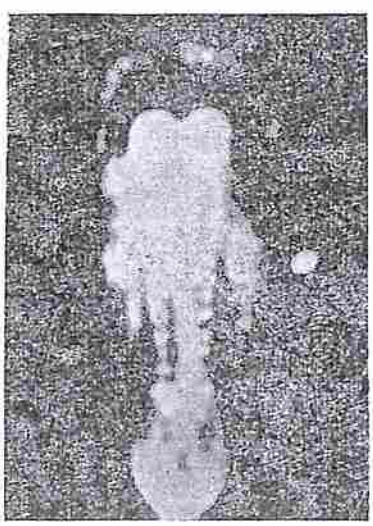

(بعد 19 يوما)

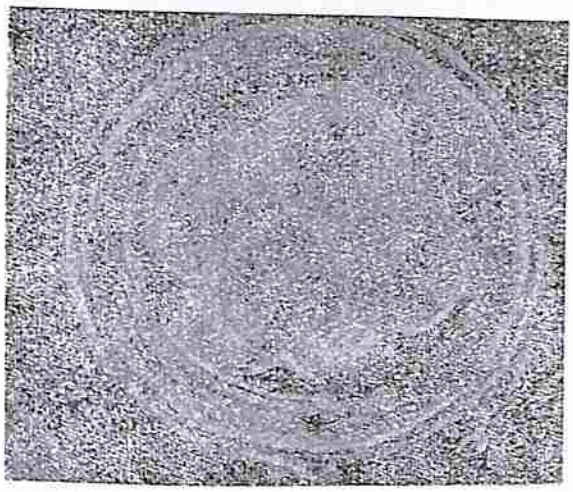

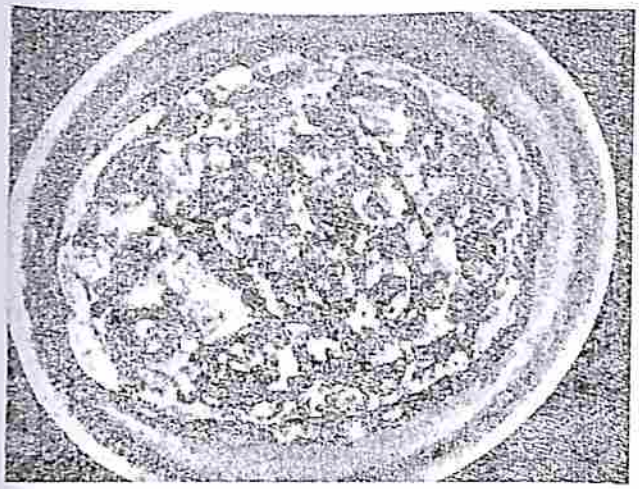

المضغـــة

بانه موكل بالرحم .

ثم تنتهى مدة (المضغة) ليكسو الخالق سبحانه وتعالى العظام (لحما) ... وما يزال الجنين يتكامل فى الرحم شيئا فشيئا حتى يخرج الى الوجود ، وهو انسان تام الخلق والتكوين .. تغذى فى رحم امه فكان جزءا منها ثم تحنو عليه مرضعة بلبنها حتى يشتد عوده وقد اخذ عن ابيه وامه كل خصائصهما .. فتبارك الله احسن الخالقين .

شبـــه الجنـــين لابيـــه أو امـــه :

ويقال ان شبه الجنين تابع لمقدار الحيوانات المنوية الملقحةللبويضة فاذا دخلتبكثرةفىالبيوضةاشبه اباه سواء أكان ذكرا ام انثى واذا كانت قليلة اشبه امه كذلك ، فاذا كان الجماع بشدة ومقدار المنى كثيرا وانزل الرجل قبل المراة كثر دخول الحيوانات المنوية فى البيضة فاشبه الولد اباه ، اما اذا كان مقدار المنى قليلا ، وانزلت المراة قبل الرجل بطلت حركة الامتصاص من رحمها فنظرا لذلك ولقلة مقدار المنى يصل عدد قليل من الحيوانات المنوية الى البويضة فيكون الولد شبيها بامه سواء اكان ذكرا او انثى ، ولذا روى البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد ، واذا سبق ماء المراة الرجل نزعت الولد اى لانه فى هذه الحالة تبطل حركة الرحم فى جذب المنى اليه فتكون الحركة الداخلة فيه اقل مما اذا حصل القذف اثناء حركة الرحم اى قبل انزال المراة .

.نشكر مجلة العربى التى اذنت بنقل الصور عنها . « مجلة كلية الشريعة »